٢٦ـ كن أمينا ولا تكن خائنا

اعلم يا بني ويا بنيتي أن الأمانة ضد الخيانة. وهي خلق الأنبياء والصالحين، وهي أعظم وأشد ما تَحَمَّله الإنسان، بل هي أعظم وأشد ما تحمله مخلوق على الإطلاق، وأناب الإنسان في تحملها عن أعظم وأشد ما خلق الله تعالى، قال الله تعالى:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢] .

وقد نهى النبي أن يحلف بها أحد عَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا ". (١)

وهي أحد وصفين اشتهر بهما النبي ـ ﷺ ـ قبل البعثة، والصدق الصفة الثانية.فقد كانت" قريش تسمي رسول الله ـ ﷺ ـ قبل أن ينزل عليه الوحي: الأمين. ولما دخل رسول ـ الله ﷺ ـ من باب شيبة وقت أن كانت قريش تختصم على مَن مِن القبائل يرفع الحجر الأسود إلى موضعه قالوا لما رأوه: هذا الأمين رضينا هذا محمد، أي رضينا بحكمه، لأنهم كانوا قد اتفقوا أن يقضي بينهم أول من يدخل من هذا الباب ، فكان هو الرسول ـ ﷺ ـ". (٢)

---

(١)رواه أبو داود والبيهقي .

(٢) محمد بن عبد الملك بن هشام/ سيرة النبي ـ ﷺ ـ طنطا دار الصحابة للتراث ط الأولى ١٩٩٥م١/ ٢٥٤ .

الأمانة أساس الإيمان والدين...

اعلم يا بني أن كل من خلت أقواله وأفعاله من الأمانة، فإن في ذلك دليل على خواء قلبه، من الإيمان وحسن الاعتقاد. ولا نبالغ إذا قلنا: إنَّ في ذلك دليل على خواء قلبه من مشاعر الإنسانية على وجه العموم. فَعَنْ أَنَسُ بْنُ مَالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ ". (١)

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : " لا تَنْظُرُوا إِلَى صَلاة أَحَدٍ ، وَلا إِلَى صِيَامِه ، وَلَكِنِ انْظُرُوا إِلَى مَنْ إِذَا حَدَّثَ صَدَقَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ أَدَّى ، وَإِذَا أَشْفَى وَرِعَ ". (٢)

وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : " لا يَغُرَّنَّكَ صَلاةُ رَجُل وَلا صِيَامُهُ ، مَنْ شَاءَ صَامَ ، وَمَنْ شَاءَ صَلَّى ، وَلَكِنْ لا دِينَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ ". (٣)

إذا خلت القلوب من الإيمان، وعم ذلك بين الناس مع تقادم الزمان، كان ذلك إيذانًا بهلاك العالم، وقيام الساعة.

إن عندها تفسد الحياة بصورة غير مسبوقة، ويُرفع الحق والخير، ويُذْهَب بالصالحين، صمام الأمان في كل مراحل الحياة وتاريخ البشرية، ويبقى أراذل الخلق وشرار الناس، فَعَنْ عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ ". (٤)

---

(١) رواه أحمد وابن حبان والبيهقي .

(٢) رواه البيهقي.

(٣) رواه البيهقي .

(٤) رواه ابن ماجة والحاكم في مستدركه من حديث أنس وأحمد وابن حبان .

ولذلك كان ذهاب الأمانة من الدنيا، علامة من علامات قرب قيام الساعة، وإيذانًا بذهابها، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا ضُيِّعَتْ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ ". (١)

وَعَنْ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَيْنِ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ حَدَّثَنَا أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ثُمَّ عَلِمُوا مِنْ الْقُرْآنِ ثُمَّ عَلِمُوا مِنْ السُّنَّةِ وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ فَيُقَالُ إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيُّكُمْ بَايَعْتُ لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الإِسْلَامُ وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا ". (٢)

و " قِيلَ لِلُقْمَانَ مَا بَلَغَ بِكَ مَا نَرَى ، فَقَالَ لُقْمَانُ : صِدْقُ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءُ الأَمَانَةِ ، وَتَرْكُ مَا لَا يَعْنِينِي ". (٣)

من فوائد الأمانة...

١ـ الأمانة من كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٢ـ يقوم عليها أمر السماوات والأرض.

---

(١) رواه البخاري .
(٢) رواه البخاري .
(٣) رواه مالك في الموطأ.

٣ـ هي محور الدين وامتحان رب العالمين.

٤ـ بالأمانة يحفظ الدين والأعراض والأموال والأجسام والأرواح والمعارف والعلوم، والولاية والوصاية والشهادة والقضاء والكتابة

٥ـ الأمين يحبه الله ويحبه الناس.

٦ـ من أعظم الصفات الخلقية التي وصف الله بها عباده المؤمنين بقوله تعالى:" وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ". (١)

٧ـ مجتمع تفشو فيه الأمانة مجتمع خير وبركة".(٢)

(١)المؤمنون٨ والمعارج٣٢.
(٢)نضرة النعيم٣/ ٥٢٤.

صور الأمانة...

اعلم يا بني أن للأمانة عدة صور منها...

١ـ رد الحقوق إلى أصحابها...

وفيها قال الله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨] ، فمتى كان عندك وديعة لأحد وجب عليك ردها عند طلبها، والأمانة وإن كانت تصدق على كثير غير أن المقصود بها في هذه الآية هي الحقوق المادية، لأنها هي التي تُؤدَى إلى الغير.

ويصح أن تشمل" جميع الأمانات الواجبة على الإنسان، من حقوق الله عز وجل على عباده، من الصلاة والزكاة والصيام والكفارات والنذور، وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد". (١)

قال ابن عباس:" الأمانات الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد، يعني الفرائض، يقول: لا تنقضوها . قال الكلبي: أما خيانة الله ورسوله فمعصيتهما، وأما خيانة الأمانة فكل واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه، إن شاء خانها، وإن شاء أداها، لا يطلع عليه أحد إلا الله".(٢)

ولا تحملك خيانة أحد لك على خيانته، فتعامله بالمثل، فالمسلم يلتزم دائمًا منهج الخير والفضيلة مع كل الناس، وإن لم يلتزموا ذلك المنهج معه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ

---

(١)الامام الحافظ عماد الين أبو الفداء إسماعيل بن كثير / تفسير القرآن العظيم / المنصورة مصر مكتبة الإيمان١/ ٥١٥.

(٢) الكبائر ص١٦٩.

خَانَكَ". (١)

فعدم أداء الأمانات إلى أصحابها من الذنوب العظام التي لا يكفي فيها الاستغفار قال ابن مسعود:"إن الشهادة تكفر كل ذنب إلا الأمانة، يُؤتى بالرجل يوم القيامة، وإن كان قد قتل في سبيل الله فيقال: أدّ أمانتك. فيقول: فأنَّى أؤديها وقد ذهبت الدنيا؟ فتُمثل له الأمانة في قعر جهنم فيهوى إليها فيحملها على عاتقه، قال: فتنزل عن عاتقه فيهوى على أثرها أبد الآبدين". (٢)

٢ـ فيما وكلت إليه من مهام...

اعلم يا بني أن كل ما كنت قيِّمًا عليه كان أمانة في عنقك تُسأل عنها يوم القيامة، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، قَالَ : وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ". (٣)

وهذا يا بني يجعلنا ندقق فيمن يتولى أمورنا، من رئيس أو وزير أو طبيب أو مدرس أو مدير، أو أي إنسان في موقع مسئولية، وأن يتولى أمورنا الأصلح، ولو كان مستصغرًا في أعين العامة، لأن في ذلك مراعاة لحفظ الأمانة وعدم ضياعها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) رواه الترمذي والبيهقي من حديث أبي هريرة أبو داود .
(٢)تفسير القرآن العظيم ١/ ٥١٥.
(٣) متفق عليه.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ ". (١)

٣- في حفظ الأسرار...

اعلم يا بني أن من الأمانات حفظ الأسرار التي تطلع عليها دون غيرك، أو يُطلعك عليها أصحابها، فمن الخيانة أن تفشي سرًا، أو تكشف سترًا، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". (٢)

فالرجل كل الرجل الذي يكتم على صاحبة، أو يكتم على صاحبته ما يحدث بينهما من إفضاء، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا ". (٣)

فالإسلام يرفض انتشار الفضائح والأخبار السيئة، المسيئة للآخرين، في مجتمعه، وكل من أشاع ذلك، وعمل علي تزكيته قد توعده الله تعالى بعذاب أليم، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

[النور: ١٩] .

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.

الصحابة يحفظون سر النبي - ﷺ -:

وليس هذا يا بني بمستغرب من رجال تربوا على آداب النبوة، والقدوة الحسنة، فَعَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : " حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ، قَالَ عُمَرُ : فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ ، فَقُلْتُ : إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، قَالَ سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي ،فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ فَقَالَ : قَدْ بَدَا لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا ، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ ، قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا ".(١)

وعَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : " كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ لَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي مَا تُخْطِئُ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِابْنَتِي ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ فَقُلْتُ لَهَا خَصَّكِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسِّرَارِ ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) رواه البخاري .

وَسَلَّمَ سَأَلْتُهَا مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ ، قَالَتْ: مَا كُنْتُ أُفْشِي عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِرَّهُ ، قَالَتْ : فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنْ الْحَقِّ ، لَمَا حَدَّثْتِنِي مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ : أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى فَأَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، وَإِنَّهُ عَارَضَهُ الْآنَ مَرَّتَيْنِ ، وَإِنِّي لَا أُرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدْ اقْتَرَبَ فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي ، فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ ، قَالَتْ : فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ ، فَقَالَ : يَا فَاطِمَةُ ، أَمَا تَرْضَيْ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، قَالَتْ : فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتِ ".(١)

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : " أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ قَالَ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ مَا حَبَسَكَ قُلْتُ بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَةٍ قَالَتْ مَا حَاجَتُهُ قُلْتُ إِنَّهَا سِرٌّ ، قَالَتْ : لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا قَالَ أَنَسٌ وَاللهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ يَا ثَابِتُ ".(٢)

(١)متفق عليه واللفظ لمسلم.
(٢) رواه مسلم.

وقال الشاعر في كتم السر:

ومستودعي سرًا تضمنت سرَّه ∴ فأودعته من مستقره الحشى قبرًا
ولكنني أخفيه عني كأنني ∴ من الدهر يومًا ما أحطت به خبرًا
وما السر في قلبي كميْت بحفرة ∴ لأني أري المدفون ينتظر النشرا

وقال آخر :

ويكتم الأسرار حتى إنه ∴ ليصونها عن أن تمر بباله

من فوائد كتمان السر...

١ـ به يتمكن الإنسان من قضاء مصالحه، ولا يُواجَه بما يعوقه عنها.

٢ـ كتمان السر لون من ألوان الأمانة، والأمانة من علامات الإيمان.

٣ـ كتمان السر لون من الوقار والاحتشام، ودليل على الرزانة والوقار.

٤ـ هو فضيلة إنسانية بها يرتقي المرء في درجات الكمال.

٥ـ يوثق صلة الإنسان بأخيه حين يحفظ أسراره.

٦ـ حين يثق الإنسان بأن صاحبه يحفظ أسراره يمهد ذلك له استشارته فيما لا يحب أن يطلع عليه الناس.

٧ـ يؤدي حفظ السر إلى توثيق عرى المحبة بين الإنسان ومن يحفظ عليه سره". (١)

(١) نضرة النعيم٨/ ٣٢١٣.

عن الخيانة ...

اعلم يا بني أن الخيانة صفة من صفات الكافرين والمنافقين، ما ذكرها الله تعالى في كتابه إلا في معرض ذكرهما، والتحذير منهما ومن مكرهما وخيانتهما، قال الله تعالى:﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾[الأنفال : ٥٨].

وقال تعالى:﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنفال:٧١] ، ثم ذكر تعالى أن الخائنين على ضلالة فقال تعالى:﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [يوسف:٥٢].

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ". (١)

وقد استعاذ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الاتصاف بها ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : " وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ ، فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ ".(٢)

ولما كانت تلك صفة الكافرين والمنافقين استحالت في حق المؤمن الصادق الإيمان عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ إِلا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ " .(٣)

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه أبو داود وابن ماجة والنسائي .
(٣)رواه البيهقي .

" يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ ".[١]

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَالْكُفْرُ فِي قَلْبِ امْرِئٍ ، وَلَا يَجْتَمِعُ الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ جَمِيعًا ، وَلَا تَجْتَمِعُ الْخِيَانَةُ وَالْأَمَانَةُ جَمِيعًا ".[٢]

من مضار الخيانة...

١ـ تُسخط الله عز وجل على العبد.

٢ـ داء وبيل إذا استشرى بالإنسان جرده من إنسانيته، وجعله وحشًا يهيم وراء ملذاته.

٣ـ من علامات النفاق.

٤ـ طريق موصل إلى العار في الدنيا، والنار في الآخرة.

٥ـ أسوأ ما يُبطن الإنسان.

٦ـ خيانة المجاهد في أهله أعظم جُرمًا من خيانة غير المجاهد.

٧ـ انتشار الخيانة في المجتمع من علامات اضمحلاله، وهو علامة من علامات الساعة.

٨ ـ انتشار الغُلُول والرشوة والمطل والغش لأنها كلها من الخيانة".[٣]

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه أحمد .

(٣) نضرة النعيم ١٠/ ٤٤٩٧.